كتاب
تاريخ بيروت

لمحمد بن صالح (تابع لما سبق)

وكان بعض الامراء بمصر قد رقّ خاطرهُ على المذكورين فكلّم السلطان في امرهم فلم يسمع السلطان كلامهُ وقال: هؤلاء لا أفرج عنهم ولا أرذيهم حتى افتح طرابلس وصيدا وبيروت. وقيل انَّ الامير الذي تكلّم فيهم بدرُ الدين بيليك (١ الخزندار وكان قد صار نائباً عن السلطان المذكور فاستمرَّ المذكورون في السجن الى بعد وفاة السلطان ولم يُخرج عنهم اقطاعاً ولا ملكاً

(قلتُ) وربما كان في مدَّة سجنهم بمصر طغيان نجم الدين محمَّد بن جمال الدين حجي بن محمَّد (٢ وتسليطهُ على اولاد علم الدين معن بن معتب (٣ وعلى غيرهم وتجرّؤهُ على قتل قُطب الدين السعديّ (٤ في كفرعمّيه (ان كان هو قاتلهُ) لغيبة المذكورين عنه

وسمعتُ ممن نقل الاخبار عن الاوائل انَّهُ لمَّا جرى على الغرب ما جرى لاجل قتل قطب الدين كما سنذكر ان شاء الله (٥ فيما بعد وبلغ الخبر زين الدين بن عليّ وهو بسجن مصر تاسَّف على ما جرى وقال: آه لو كنتُ حاضراً. فقال لهُ الموكّلون عليه: ما عساك كنت تفعل يا مولانا؟ فردَّ عنهُ الجواب جمالُ الدين بعقله وقال: لكان أصلح القضيَّة. وهذا يدلُّ على انَّ الافراج عنهم كان عقيب هذه الحركة بمدَّة قليلة. وذلك بيّن ظاهر لمن ينظر في هذه التذكرة

---

١) هو احد مماليك الملك الظاهر اشتراهُ صغيراً وهو امير فلمَّا تسلطن استمرَّ به الظاهر نائب السلطنة وفوَّض اليهِ جميع احوال المملكة. ثمَّ صار الامر بعد الظاهر الى ولده الملك السعيد ابي المعالي بن بيبرس فاقرَّه في ولايته الَّا انهُ مات بعد قليل سنة ٦٧٦ (١٢٧٨ م)

٢) هو الولد الذي عنَّ اباهُ جمال الدين فحرمهُ الميراث (راجع ص٥٦٥)

٣) هو معن بن معتب بن ابي المكارم الذي ورد ذكرهُ في شجرة التنوخيين (راجع ص ٣٧٣)

٤) راجع ص ٥٦٤ (٥ راجع ص ٧٠٢

ونحن نذكر بيان كلّ الحركة (كذا) كما سمعنا الامر نقلًا عن القدماء ومطابقةً مع الاوراق الموجودة عندنا مؤرّخةً بذكر هذه الحركة ثم نعرض ذلك على ما ذُكر في كتُب المؤرّخين الذين كانت ايّامهم مطابقة لايّام الحركة المذكورة. وجلُّ القصد بذلك وضع الامور على المطابقة بقرائن يقبلها العقل ويصوغها الفكر وقد اجتهدتُ على صحة ذلك وما توفيقي الّا بالله

(اقول) لمّا قدّر الله بوفاة السلطان الملك الظاهر بدمشق في السابع والعشرين محرّم سنة ست وسبعين وستمائة (١٢٧٧ م) اخفى بدر الدين بيليك موتهُ وتوجّه بالعسكر الى مصر ومعهم محفّة يظهر ان السلطان فيها ضعيف فلمّا وصل اظهر موتهُ واجلس ولدهُ الملك السعيد بَرَكة(١ على عرش السلطنة في اوائل ربيع الاول سنة ست وسبعين وسبعمائة وجعلوا عزّ الدين أيدمر (٢ نائباً على الشام ثمّ افرجوا عن زين الدين وجمال الدين واخيهِ سعد الدين المذكورين

ثمّ بعد ذلك كانت وفاة بدر الدين بيليك نائب السلطنة واستقرّ عوضهُ شمس الدين الفارقانيّ (٣

ووقفتُ على كتاب من زين الدين بن علي الى جمال الدين حجّي واخيهِ سعد الدين وسائر كبار الغرب كلّ واحد باسمهِ وعند البسملة الشريفة الظاهري (٤ . ملخص مضمونهُ « انّ كلّ ما جرى عليهِ هو من تزوير بني ابي الجيش. وانّهُ لمّا أمسكوهُ طلبهما بنو ابي الجيش في العسكر فما لحقوهما وانّهُ حمد الله على ذلك. وانّهُ ما اساء اليهم قطّ وانّهُ ان جرى عليهِ امرٌ فهو منهم فليأخذا بثارهِ ويكونا من الرجال. وانّهُ ان يخلص يكافئهما. وانهُ تحقق انّ الذي جرى عليهِ صادر من بني ابي الجيش. وانّهم بعد ذلك ارسلوا كتاباً على

---

١) هو بركة خان الملك السعيد ابو المعالي ابن الملك الظاهر تولى السلطنة سنة ٦٧٦ه (١٢٧٨ م) ومات بعد سنتين تقتطر بهِ الفرس في ميدان الكرك فانكسر ضلعهُ ومات من يومهِ

٢) هو ايدمر الحطيري كان احد الامراء الكبار تولى مدّةً نيابة الشام في ايّام الملك السعيد ثمّ جُعل استادار العالية في ايّام محمّد بن قلاوون. ومن آثارهِ جامع ابتناهُ في بولاق. كانت وفاتهُ نحو سنة ٧٤٠ه (١٣٤٠ م)

٣) هو الامير آق سنقر الفارقاني استقرّ نائب السلطنة بعد الامير بيليك فاقام على ذلك مدّةً يسيرة ثمّ قبض عليهِ الملك السعيد وسجنهُ بثغر الاسكندريّة ثمّ ارسل بخنقهِ فخُنق سنة ٦٧٦ (١٢٧٨م)

٤) كذا في الاصل ولا نفهم ما المراد بقولهِ: « عند البسملة الشريفة الظاهريّ »

يد ابي الغيث بن ابراهيم (١ من عرامون الى شهاب الدين بن نحو (٢ يقدّمها ويتحدّث عليها (٣ . وأنّ الكتب شكاوى عليه ويسألها امساك ابي الغيث (٤ و) المذكور ومقابلتهُ ». وهذا يدلُّ على انهم امسكوهُ في عسكر وانَّ جمال الدين واخاهُ كانا في البلاد. وربَّما كان هذا العسكر في غير هذه البلاد فتوجّه زين الدين اليه فمسك فيه.

واما قولهُ في الكتاب انَّهم طلبوهما في العسكر فما لحقوهما فيدلّ على انَّ زين الدين سُجن قبلهما فيكون العسكر تطلّب جمال الدين وسعد الدين بعد ذلك وامسكوهما وسجنوهما بعجلون والكرك. والدليل على ذلك انَّ سجنهما كان في ايّام الظاهر بيبرس والكتاب المذكور كُتب في ايّام الظاهر لا خلاف فيه.

ورأيتُ مُحضَرًا (٤ كُتب بعد هذه الواقعة تاريخهُ ثامن وعشرون من صفر سنة اثنتين وثمانين وستمائة (١٢٨٣ م) فاوردتُ اثباتهُ عند ذكر ما جرى على المذكورين من الكذب والزور. ومن مضمونهِ: « انَّ شهوده يعلمون انَّ تقيَّ الدين نجا بن ابي الجيش بن مفرج (٥ يُعرَف بالزور والافتراء والكذب فينسب زورًا للامراء زين الدين صالح بن علي وجمال الدين حجّي واخيهِ لأبويهِ سعد الدين خضر المكاتبات الى الفرنج المخذولين وغيرهم. وذلك لأنهُ معاند لهم وساعٍ في اذيّتهم وفيما يضرُّهم بكل طريق. وانَّ تقيَّ الدين المذكور توجّه الى صيداء وعكة في سلخ شهر حزيران سنة اثنتين وثمانين وستمائة (١٢٨٣م) بكتب مزوّرة بخطهِ عن المذكورين ولم يكن عندهم من ذلك علم ولا يعلم شهودهُ انَّ المذكورين يُنسبون الى شيء من ذلك ». وفيهِ شهود الميادنة (٦ من بلد صيداء ولهم شهود بالتركيّة

---

١) لا نعرف لهُ خبرًا ٢) كذا في الاصل بلا ضبط

٣) لعلَّهُ يريد بقولهِ « يقدّمها ويتحدّث عليها » انهُ حصل على نسخ من هذه الكتب فيقدمها زينُ الدين الى جمال الدين واخيهِ ويتحدّث عنها في كتابهِ لهما

٤) المَحضَر كالسجل والصكّ

٥) جاء في حاشية من اصل الكتاب ما حرفهُ: « ومفرج جدّ تقيّ الدين نجا كان افضل من ذرّيتهِ متبرًا بين الناس. ومن الدليل على ذلك اني وجدتُ بين الاوراق القديمة مشترًى باسم نجم الدين محمّد بن حجّي بن كرامة وهو بخطّ مفرج هذا وهو مفرج بن ابي الجيش بن مفرج وهو خطّ مليح يدلّ على ذكاء كاتبهِ. وتاريخهُ شهر ربيع الاوّل من سنة ثمان وثلاثين وستمائة. وجرت العادة ان يُعتبَر الذي يكتب كرجل فاضل وبليغ عارف باسر الكتابة »

٦) لعلَّهُ يريد قومًا من الصيداويين يسكنون الميدان وهي قرية من اقليم جزّين

من قوم تحت شهاداتهم (؟ ؟) بخطّ قاضٍ. وهذا المحضر كُتب في ايّام المنصور قلاوون فقدمتُ ذكرهُ ليكون بإزاء الكتاب المذكور ليعلم الواقف على هذه التذكرة عداوة بني ابي الجيش لهذا البيت. وكان يجب تأخيرهُ الى ايّام المنصور قلاوون لأنهُ كُتب عن حادثةٍ وقعت في ايّام غير الحادثة التي ذُكرت في ايّام الملك الظاهر بيبرس

[ووقعتُ على محضَر ثانٍ كُتب لزين الدين بن عليّ ولولديهِ عليّ وبجتر وجمال الدين حجي ولولدهِ محمّد ولاخيهِ سعد الدين خضر. ومن مضمونهِ: انهم مناصحون الدولة المنصوريّة مجتهدون في قمع المفسدين واخماد الفتن وانهُ ليس منهم احد يحبُّ الفرنج او يميل اليهم او يناصحهم وانّ جميع ما نُسبوا اليهِ من الاجتماع بالفرنج عند نزول العساكر المنصورة بساحل مدينة صيداء (بسم الله فتحها في شهور سبع وثمانين وستمائة (١٢٨٨ م) كان تشنيعاً من اعدائهم ومبغضيهم ليس لهُ اصل ولا حقيقة. والتاريخ في الخامس والعشرين من شهر شعبان سنة سبع وثمانين وستمائة. وهذا في ايّام الملك المنصور قلاوون ايضاً. فيكون من ثمَّ قد وهم بالغيب من زعم انَّ الثلاثة المذكورين سُجنوا مرّتين وان النسخة الثانية في ايّام قلاوون وافرج عنهم بيدرا. والله اعلم(١]

ولنرجع الآن الى ترتيب الحوادث في اوقاتها تتلو بعضها بعض على دول الملوك وايّامهم. ومن الحوادث في ايّام زين الدين وجمال الدين وسعد الدين انهُ حضر الى الغرب في نهار الخميس في العشر الآخر من شهر صفر سنة سبع وسبعين وستمائة (١٢٧٨م) عساكر وعشران من ولاية بعلبكّ والبقاعين وصيداء وبيروت لقضيّة قتل قطب الدين السمدي. وهذا كان قد استقطع كفرعمّيه من امراء الغرب فقُتل فيها وذكروا انَّ الذي قتلهُ هو نجم الدين محمد العاقّ لابيهِ جمال الدين وقد تقدّم ذكرهُ وطَرْدُ ابيهِ لهُ (٢. فاقامت العساكر والعشران في الغرب سبعة ايّام في نهب وأسر وحريق وهدم وخراب. وكان نجم الدين محمد المذكور وشرف الدين علي بن زين الدين بن علي قد هربا مع وفقةٍ لهما الى شقيف كفرغوص (٣ فتحصّنوا بهِ. فحضر اليهم بعض العساكر فاتلوهم واعتقلوهم وساروا بهم وهم يتبعون المنهزمين من الغرب حتى وصلوا الى كفرفاقود فافرجوا عن

١) ما وضعناهُ هنا بين معكفين [ ] قد ورد في ذيل الكتاب الّا انهُ من الاصل زادهُ المؤلف ونبّهَ عليهِ

٢) راجع ص ٥٦٤ و ٥٦٥ ٣) نقلها من اقليم الشحّار

المذكورين في كفرفاقود. وذكروا ان الشيخ العلّم (34) لمّا وصل الهاربون من الغرب الى كفر فاقود جهّز الميزى لتدوس الطريق وتخفي آثار الهاربين على من يتبعهم من العسكر. ولم نسمع أنهُ جرى على الغرب الخمس من هذه الحادثة. ثمّ صار الامر الى يدي الملك السعيد بركة بن الظاهر ونائبهُ بالشام عزّ الدين ايدمر (ستأتي البقية)

رواية الشقيقتين

للاب مغري لامنس اليسوعي

(تابع لما قبل)

ولم يكن هذا الافتراض بانّ الراهبة اغنس هي ابنتها وردة امرًا محالًا لانّ صوتها ووجهها لم يكونا بالشيء غير المعروف لديها بل كانت كلما نظرت اليها او سمعت صوتها تشعر باضطراب داخليّ لم تكن لتدرك سببهُ بل كانت منذ نظرت الى الراهبة المرّة الاولى أحسّت بانعطاف شديد ومحبّة عظيمة لها... وكانت تقول في نفسها انّ للقلب ادلّة وحججًا لا يفقهها العقل احيانًا فعلامَ لا نتبع الهامات القلب.... ثم كانت تعود الى رشدها فتقول كلاًّ انّ هذه اوهام بل اضغاث احلام فانّ وردة قد ماتت دون اشكال وعلى فرض انها ما برحت حيّة فانّها تكون أصغر سنًّا من الراهبة أغنس بزهاء عشر سنين على الاقلّ»

وبينما كانت متردّدة في الامر على ما مرّ بك الكلام تصدّق مرّة انّ الراهبة اغنس هي بنتها وردة وتنكر مرّةً الامر على نفسها عزمت ان تستجلي الغامض وتستطلع الحقيقة باسرع ما يمكن لها. وهي لهذه الغاية باحت لقرينها بما كان يخامرها من الظنون فعزم الزوجان ان يكاشفا الراهبة بما يتردّد على بالهما رجاء ان يحملاها على الاباحة بسرها وانها اذا لزم الامر يكاشفان الرئيسة ويستطلعانها طلع الراهبة وبالجملة انّ الزوجين تواعدا ان يتخذا جميع الوسائل لازالة الخفاء وكشف الغطاء.

على انّ عربة البارون تأخرت ذلك المساء عن الاياب في الوقت المعيّن خلافًا للعادة وكانت الحالة الجوّية قد ضيّقت في ذلك المساء بغتةً كما يحدث غالبًا في مثل هذا